

الإثنين 12-09-2011

## 1473-(اللعبة في الوعي وأسلحة الانحراف الكامل (2 من 2)

### تعتقة التحرير

#### "اللعبة في الوعي" وأسلحة الانحراف الكامل (2 من 2)

تكلمت في المقال السابق عن ضرورة التفريق بين "الوعي" و "العقل" و "المخ"، كما أشرت إلى كيف أن اللعب في الوعي هو أقرب إلى ما يسمى غسيل المخ، وأنه بتطور التكنولوجيا المتعلقة، وما استتبعها من إغارات الإعلام المركزي ثم المركزي على تشكيل ثقافة البشر ومن ثم مصائرهم، قد أصبح الوعي البشري عبر العالم في أيدي غير أمينة، أو على الأقل: في أيدي غير موثوق فيها،

وأكمل اليوم قائلاً :

.... لكن آلية التواصل هذه قد أتاحت الفرصة لمد شبكة العلاقات الإنسانية عبر القرارات، وعبر الأديان، وعبر الألوان، وغير الأجناس، النتيجة البدهية لهذا وذاك كان ينبغي أن تكون كالتالي: أن يصبح الإنسان أكثر إنسانية، وأعمق وعيًا، وأرق تراهما، وأقل تعصباً، وأجمل إبداعاً. فهل حدث ذلك؟

نعم، حدث ولكن في حدود ضيقة في قطاع محدود عبر العالم، قطاع ما زال يمثل أقلية غير مؤثرة في مسيرة ومصير البشرية، قطاع يمل سلامه الوعي وحدة البصيرة ومثابرة الاتصال والإبداع، لكنه لا يملك السلطة القادرة على التغيير الواجب لتحقيق ما تعد به مسيرة التطور. هذا القطاع هو فئة المبدعين نقداً وإنشاء، الذين استوعبوا حركة التطور ورصدوا إنذارات الانحراف فراحوا عبر العالم يتواصلون أسرع، ويتعمقون أكثر، ويبعدون أجمل في كل مكان.

لكن الواقع الماثل يقول أيضاً: إنه في غفلة من الزمن، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييقي، وجد العالم نفسه وقد سلم قيادته - غير ختار - لتيار يسير في عكس الاتجاه تماماً، ذلك أن الذى أمسك بزمام السلطة في المجالات الفاعلة: المالية والسياسية والإعلامية والتربوية أساساً هو فريق يمكن أن يعتبر "طفراً شاذة سلبية من النوع البشري".

اللـعـبـ فيـ الـوـعـىـ يـشـمـلـ تـوـجـيهـ الـاـنـتـبـاهـ وـكـذـلـكـ تـشـتـيـتـهـ،ـ كـمـ يـشـمـلـ أـيـضـاـ آـلـيـاتـ الـإـغـرـاقـ،ـ وـهـوـ (ـالـلـعـبـ)ـ يـتـعـمـدـ الـإـلـهـاءـ بـالـتـكـرـارـ الـمـتـنـوعـ وـالـمـلـاحـقـةـ،ـ وـهـوـ (ـالـلـعـبـ)ـ يـسـتـعـمـلـ الـأـرـقـامـ (ـسـوـاءـ دـعـمـتـ بـعـادـلـاتـ إـحـصـائـيـةـ (ـعـلـمـيـةـ!!ـ)ـ مـشـبـوهـةـ أـوـ لـوـحـتـ بـرـأـيـ عـامـ مـلـتـبـسـ فـتـكـونـ النـتـيـجـةـ هـيـ إـشـلـالـ الـفـكـرـ الـعـمـلـيـ وـالـمـنـطـقـ الـبـسيـطـ،ـ ثـمـ خـذـ عـنـكـ ذـلـكـ الـاسـتـغـرـاقـ فـيـ التـحـلـيلـ التـارـيخـيـ أـوـ التـبـرـيرـ التـفـسـرـيـ دـوـنـ أـنـ يـصـبـ لـافـاـنـ الـخـاطـرـ وـلـافـ الـمـسـتـقـبـلـ وـكـأـنـ الرـسـالـةـ تـنـتـهـيـ عـنـدـ أـلـعـابـ الـحـدـقـ وـحـلـ الـفـازـ شـطـرـنـجـ لـوـحـاتـ التـارـيخـ،ـ وـأـحـاجـيـ الـأـحـادـاثـ.

خـذـ عـنـكـ أـيـضـاـ الـتـمـادـيـ فـيـ عـرـضـ الـقـضـاـيـاـ الـزـائـفـةـ (ـبـزـاعـ قـبـولـ الـآـخـرـ مـثـلـ)ـ لـتـحلـ مـعـلـ الـقـضـاـيـاـ الـجـوـهـرـيـةـ (ـمـثـلـ شـرفـ اـجـدـلـ لـتـخـلـيقـ مـاـ يـكـنـ مـنـ الـاـخـتـلـافـ الـحـيـويـ)،ـ وـأـخـيـراـ تـقـدـمـ الـمـقـدـسـاتـ الـجـدـيـدةـ بـشـكـلـ بـيـعـلـ مـنـهـاـ كـهـنـوـتـاـ جـائـماـ،ـ أـوـ صـنـمـاـ رـاسـخـاـ،ـ أـوـ أـيـديـولـوـجـيـاـ مـغـلـقـةـ (ـمـنـ أـوـلـ الـدـيـقـراـطـيـةـ بـدـيـلاـ عنـ الـحـرـيـةـ حـتـىـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ الـمـكـتـوـبـةـ بـدـيـلاـ عنـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ الـمـعـيـشـةـ..ـاـخـ)

وـقـدـ تـمـادـيـ الـإـعـلـامـ عـبـرـ الـعـالـمـ فـتـقـدـمـ منـاظـرـ الـعـدـوانـ وـالـقـسـوةـ حـقـ القـتـلـ وـالـسـحـلـ وـالـإـبـادـةـ دـوـنـ مـرـرـ تـرـبـويـ أـوـ أـخـلـقـيـ أـوـ فـنـيـ وـاضـحـ،ـ حـقـ أـنـقـ تـنـاـولـتـ ذـلـكـ يـوـمـاـ فـيـ بـرـنـامـجـ ثـقـافـيـ أـقـتـطـفـ مـنـهـ مـاـ يـلـيـ:

مـنـذـ بـضـعـةـ سـنـوـاتـ كـنـتـ أـقـدـمـ فـيـ قـنـاـةـ النـيـلـ الـثـقـافـيـ بـرـنـامـجـ بـعـنـوانـ "ـسـرـ الـلـعـبـةـ"ـ وـحـينـ جـاءـ الدـورـ عـلـىـ لـعـبـةـ "ـالـغـبـبـ"،ـ (ـوـكـانـ التـسـجـيلـ يـوـمـ 4ـ أغـسـطـسـ 2004ـ).ـ جـرـىـ مـاـ أـقـتـطـفـ مـنـهـ مـاـ يـلـيـ:

كـانـ الـلـعـبـةـ الـخـامـسـةـ مـنـ عـشـرـ كـالـتـالـيـ،ـ لـعـبـةـ تـقـوـلـ:ـ "ـفـمـ بـيـوـرـوـنـاـ الدـمـ وـالـهـدـمـ وـالـقـتـلـ دـاـ كـلـهـ فـيـ التـلـيـفـيـزـيـوـنـ لـيـهـ؟ـ عـشـانـ نـغـبـ؟ـ وـلـاـ عـشـانـ نـتـعـودـ عـلـيـهـ؟ـ دـانـاـ حـقـ...ـ"ـ كـانـ عـلـىـ الـفـيـفـيـ الـمـشـارـكـ أـنـ يـكـمـلـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ بـأـسـرـعـ مـاـ يـكـنـ مـعـ أـقـلـ قـدـرـ مـنـ التـفـكـيرـ.

جـاءـتـ أـغـلـبـ الـاسـتـجـابـاتـ كـمـ تـوـقـعـتـ:ـ دـالـةـ تـلـقـائـيـةـ مـؤـلـةـ خـطـرـيـةـ،ـ أـذـكـرـ مـنـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ المـثالـ إـجـابـاتـ ضـيـفـةـ رـقـيـقـةـ،ـ أـكـمـلـتـ "...ـ دـاـ اـنـاـ حـقـ مـاـ عـنـتـشـ باـحـسـ بـالـلـيـ باـشـوفـهـ"ـ،ـ

أـمـاـ إـجـابـتـيـ خـصـصـيـاـ -ـ وـأـنـاـ مـشـارـكـ أـسـاسـيـ -ـ فـقـدـ قـلـتـ "...ـ دـانـاـ حـقـ مـاـ عـنـتـشـ باـفـتـحـ التـلـيـفـيـزـيـوـنـ مـنـ أـصـلـهـ..."ـ.

فـيـ هـذـهـ الـخـلـقـةـ أـيـضـاـ كـانـتـ هـنـاكـ لـعـبـةـ تـقـوـلـ:ـ "ـالـواـحـدـ حـاـ يـغـضـبـ عـلـىـ إـيـهـ وـلـاـ عـلـىـ مـنـ،ـ أـنـاـ أـحـسـنـ لـيـ.....ـ"ـ وـكـانـ عـلـىـ الـمـشـارـكـينـ أـنـ يـكـمـلـوـاـ،ـ وـجـاءـتـ إـجـابـاتـ دـالـةـ أـيـضـاـ تـعـلـنـ أـنـ الـأـغـلـيـةـ أـكـمـلـوـاـ مـاـ يـفـيدـ أـنـ الـأـحـسـنـ لـهـمـ أـنـ يـتـمـادـوـاـ فـيـ الـتـبـلـدـ أـوـ "ـالـتـنـبـلـةـ"ـ (ـالـطـنـبـلـةـ)...ـاـخـ.

كـلـ هـذـهـ الـآـلـيـاتـ الـدـفـاعـيـةـ،ـ حـقـ الـإـنـسـاحـ،ـ هـيـ طـبـيـعـةـ بـشـرـيـةـ لـهـمـاـيـتـنـاـ مـنـ فـرـطـ الـأـلـمـ،ـ وـقـدـ أـظـهـرـ النـقـاشـ،ـ بـعـدـ الـلـعـبـةـ أـنـ مـاـ

نفعله إزاء ما يعرض علينا (أو يراد بنا) في هذا الاعلام الدامى هو أننا نكتم ما يعتمل بنا حتى لا نتفجر "الآن"، وانتهينا إلى أننا مرة فمرة فمرات نستدرج إلى أن نتبليد أو تهرب، دون انفعال أو تفاعل.

ففي لعبة أخرى - في نفس لعبة الغضب- قرب نهاية البرنامج كانت العبارة الناقصة تقول "أنا لو سمحت للغضب إلى جوايا إنه ينطلق لآخره يمكن..." واحد منها قال "يمكن انفجر الآخر قال "يمكن أطب ميت..." أما أنا فقلت: "يمكن أقتل..." ! الخ .

وبعد

كان هذا منذ سبع سنوات، وقد أثبت الواقع أن هذا "اللعب في الوعي" بهذه الصورة سواء بقصد أو بغير قصد، قد فشل في تدعيم آلية البلادة ، التي ظهرت في بعض الاستجابات، بشكل دائم وفي المقابل انتبه الشباب من خلال الاعلام الامركزي (الفيس بوك والتويتر مثلا) إلى استعمال نفس الآلية في تجميع تراكمات الغضب للتكرير الغضب حتى تفجر ما تفجر في 25 يناير 2011 ثم تمادي بعدها بدرجات متواته لفترات متقطعة.

إلا أن المسألة لم تضطرد تلقائيا خطيا في الاتجاه الإيجابي، ذلك أن الذى حدث بعد ذلك هو الشعور بالافتقار إلى الفكرة المركزية ، التي يتخلق منها الموجه الفضام لهذا الوعي الجمعي المترافق، فوجدنا أنفسنا في ضياء جديد - بقصد فعل فاعل أو بدونه- وحن نتخبط، مستغرين في التفسير والتبرير والتأويل، فراح طاقة الغضب تخفت تخفت، أو تحول إلى التشفي والثار وتصفية الحسابات، وهكذا تراجع الغضب البناء حتى خشيت أن نستدرج إلى درجة من الشلل أحيث وأخطر لأنها تسمح لمن يريد أن يزرع في وعينا ما شاء من أفكار أو قرارات أن يفعل ما يشاء ، سواء كان عدوا أو صديقا: من الداخل أو من الخارج، ما دمنا غارقين في تفاصيل اللعبة دون أن ننتبه إلى من يدير آليتها.

أخرج من كل ذلك إلى التنبية إلى أن التحدى قائم، والمعركة مستمرة ، والتكنولوجيا جاهزة ، والبقاء للأذكي والأحرص والأقدر.